كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد

للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فقد سبق أن كتبنا تعليقًا لطيفًا في مواضيع [كتاب التوحيد] لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -قدس الله روحه- فحصل فيه نفع ومعونة للمشتغلين، ومساعدة للمعلمين، لما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح التام.

وطبع بمطبعة الإمام، ثم نفدت نسخه مع كثرة الطلب عليه، ودعت الحاجة الشديدة إلى إعادة طبعه ونشره، وفي هذه المرة بدا لي أن أقدم أمام ذلك مقدمة مختصرة تحتوي على مجملات عقائد أهل السنة، في الأصول وتوابعها، فأقول مستعينًا بالله:




الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء

مقدمة

تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة

وذلك أنهم يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فيشهدون: أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال، فيعبدونه وحده مخلصين له الدين.

فيقولون: إن الله هو الخالق البارئ المصور الرزاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور.

وأنه المألوه المعبود الموحَّد المقصود، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء.

وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

وأنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب.

وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحد عنه طرفة عين، وهو الرؤوف الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة -إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم.

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين

يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «لا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»[1]، فهو ينزل كما يشاء، ويفعل كما يريد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ويعتقدون أنه الحكيم، الذي له الحكمة التامة في شرعه وقدره، فما خلق شيئًا عبثًا، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم.

وأنه التواب العفو الغفور، يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين.

وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الذاتية، كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق.

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد.

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفًا بأنه يفعل ما يريد، ويتكلم بما شاء، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو الحاكم المالك، ومن سواه مملوك محكوم عليه، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه.

ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به السنة: أن المؤمنين يرون ربهم تعالى عيانًا جهرة، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم وألذه.

---

١ - سنن ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، برقم (١٣٦٧)، سنن الدارمي كتاب الصلاة، برقم (١٤٨١)، مسند أحمد (٤ / ١٦).

وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم أبدًا، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم، ولا شفاعة -فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها، ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها.

وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقًّا، الذي استحق الثواب، وسلم من العقاب، ومن انتقص منها شيئًا نقص من إيمانه بقدر ذلك، ولذلك كان الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير، وينقص بالمعصية والشر.

ومن أصولهم: السعي والجد فيما ينفع من أمور الدين والدنيا، مع الاستعانة بالله، فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله، وكذلك يحققون الإخلاص لله في جميع حركاتهم، ويتبعون رسول الله في الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، والنصيحة للمؤمنين واتباع طريقهم.

فصل

ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو خاتم النبيين، أرسل إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أرسله بصلاح الدين، وصلاح الدنيا، وليقوم الخلق بعبادة الله، ويستعينوا برزقه على ذلك.

ويعلمون أنه أعلم الخلق، وأصدقهم وأنصحهم، وأعظمهم بيانًا، فيعظمونه ويحبونه، ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم، ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه.

ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه.

ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد،

فهو أعلى الخلق مقامًا وأعظمهم جاهًا، وأكملهم في كل فضيلة، لم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرهم عنه.

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وكل رسول أرسله الله، لا يفرقون بين أحد من رسله.

ويؤمنون بالقدر كله، وأن جميع أعمال العباد -خيرها وشرها- قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، وتعلقت بها حكمته، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم، لم يجبرهم على شيء منها؛ بل جعلهم مختارين لها، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته.

ومن أصول أهل السنة: أنهم يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والمماليك والمعاملين، ومن له حق، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين.

ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، وينهون عن مساوئ الأخلاق وأرذلها.

ويعتقدون أن أكمل المؤمنين إيمانًا ويقينًا أحسنهم أعمالاً وأخلاقًا، وأصدقهم أقوالًا، وأهداهم إلى كل خير وفضيلة، وأبعدهم من كل رذيلة.

ويأمرون بالقيام بشرائع الدين، على ما جاء عن نبيهم فيها وفي صفاتها ومكملاتها، والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها.

ويرون الجهاد في سبيل الله ماضيًا مع البر والفاجر، وأنه ذروة سنام الدين، جهاد العلم والحجة، وجهاد السلاح، وأنه فرض على كل مسلم: أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع.

ومن أصولهم: الحث على جمع كلمة المسلمين، والسعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتحذير من التفرق والتعادي والتباغض، والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا.

ومن أصولهم: النهي عن أذية الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم، والأمر بالعدل والإنصاف في جميع المعاملات، والندب إلى الإحسان والفضل فيها.

ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأفضلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصًا الخلفاء الراشدون، والعشرة المشهود لهم بالجنة، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فيحبون الصحابة، ويدينون لله بذلك، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم.

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك، والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات.

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون، ولها يعتقدون، وإليها يدعون.


الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ – ٢٤]. ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا

كتاب التوحيد

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره؛ ولهذا استغني بها عن الخطبة، أي: أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه أو يوهنه، وما به يتم أو يكمل.

اعلم أن التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة.

وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد الأسماء والصفات:

وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة

ظَٰهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُه فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ .. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾» [الأنعام: ١٥١-١٥٣][1].

والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

الثاني: توحيد الربوبية:

بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربَّى جميع الخلق بالنعم، وربَّى خواص خلقه، وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة،

١- المعجم الكبير للطبراني (١٠٠٦٠) وفي الأوسط (١٢٠٨)، ولفظه «من سره أن يقرأ صحيفة محمد ...» الحديث، والبيهقي في شعبه ٦/٢٠٧، ورواه الترمذي بنحوه في الجامع (٣٠٧٠).

عـن معاذ بن جبل رضـي الله عنه، قال: «كُنْـتُ رَدِيـفَ النَّبِيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ عَلَى حِمَـارٍ، فَقَـالَ لِي: يَـا مُعَاذُ، أَتَـدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَـادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَـى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ: أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»[1] أخرجاه في [الصحيحين].

«فيه مسائل»

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثـة: أن مـن لم يأت به لم يعبـد الله، ففيه معنى قولـه: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ٣].

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

والأخـلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحـة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح، المثمرة لسعادة الدارين.

الثالث: توحيد الإلهية -ويقال له توحيد العبادة:

وهـو العلم والاعتراف بـأن الله ذو الألوهيـة والعبودية على خلقـه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يسـتلزم القسـمين الأولين ويتضمنهمـا، لأن الألوهية التي هي صفة تعـم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمـة، فإنـه المألوه المعبـود لما له من أوصـاف العظمة والجلال، ولما أسـداه إلى خلقه

١- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (٢٨٥٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣٠).

الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل: أولاها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء.

وفيها ثماني عشرة مسألة: بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء: ٢٢]، **وختمها بقوله:** ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: ٣٩]، **ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله:** ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم: الدعوة إلى هذا التوحيد.

فذكر المصنف في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصًا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية- أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال .

باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[1] أخرجاه.

ولهما في حديث عِتْبَان رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[2].

باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد- ذكر هنا فضله، وهو آثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

فقول المؤلف رحمه الله: (وما يكفر من الذنوب) من باب عطف الخاص على العام، فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره، كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة.

ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما.

١-صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٣٥)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٨).

٢ -صحيح البخاري في كتاب الصلاة، برقم (٤٢٥)، صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٣٣).

وعن أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ مُوسَى: يَا ربِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ -وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي- وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ- مَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»[1] رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي - وحسَّنه - عن أنس رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي

ومن أجل فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة.

ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد،

فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير، وترك المنكرات، ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

١-صحيح ابن حبان (٨١٢٦)، المستدرك على الصحيحين (ج١-ص٥).

لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا- لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١] .

«فيه مسائل»

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره -مع ذلك- للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عِتْبان وما بعده تبين لك معنى قول: (لا إله

ومنها: أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله، لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه، ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق

١- جامع الترمذي في كتاب الدعوات ، برقم (٣٥٤٠).

إلا الله)، وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عِتْبان .

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله).

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسماوات.

الحادية عشرة: أن لهن عمارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: إذا عرفت حديث أنس رضي الله عنه عرفت أن قوله في حديث عتبان رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» [1] أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

تحققًا كاملاً بالإخلاص التام -فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد، بحيث لا تقابلها السماوات والأرض، وعمارها من جميع خلق الله، كما في حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر؛ وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

١-صحيح البخاري في كتاب الصلاة، برقم (٤٢٥)، صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم(٣٣).

السادسة عشرة: معرفة كونه روحًا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[١].

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

ومنها: أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم .

١-صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٣٥)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٨) .

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عن حُصين بن عبد الرحمن قال: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدَّثنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له.

فإن تحقيق التوحيد: تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تكدر التوحيد،

عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

فيه مسائل

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه؟

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره. فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله، ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي -فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها، وإلى تبوء المنازل منها.

ومن أخص ما يدل في تحقيقه: كمال القنوت لله، وقوة التوكل على الله، بحيث لا

١- أخرجه البخاري، برقم (٣٤١٠) وفي مواضع أخرى ، ومسلم، برقم (٥٢٦).

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو: عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.

يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شؤونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وحبه وبغضه، وجميع أحواله -كلها مقصودًا بها وجه الله، متبعًا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والناس في هذا المقام العظيم درجات: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

ليس تحقيق التوحيد بالتمني، ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلى العاطلة، وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان، وحقائق الإحسان، وصدقته الأخلاق

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «أَنْتَ مِنْهُمْ»[1] علم من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة .

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة، فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها. والله أعلم .

١- أخرجه البخاري، برقم (٣٤١٠) ومواضع أخرى ، ومسلم، برقم (٥٢٦).

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ: الرِّيَاءُ»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلّٰهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[2] رواه البخاري .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لَقِيَ اللّٰهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[3].

باب الخوف من الشرك

الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة.

وهو نوعان: شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي.

فأما الشرك الأكبر : فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

١—مسند الإمام أحمد (٥ / ٤٢٩)، والبغوي في شرح السنة (٣٢٣/١٤، ٣٢٤)، والبيهقي في الشعب (٣٣٣/٥).

٢- صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٤٩٧) .

٣-صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٩٣) .

«فيه مسائل»

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يُخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قُرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لَقِيَهُ يُشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة، سؤالُ الخليل له وَلِبَنِيهِ وقَايَة عبادَةِ الأصنام.

ولا فرق في هذا بين أن يسمي تلك العبادة التي صرفها لغير الله: عبادة، أو يسميها: توسلًا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر، لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأما الشرك الأصغر : فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه -كان حقًّا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهًا وإنابةً وخوفًا ورجاءً وطمعًا وقصدًا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه .

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أخرجاه [1].

ولهما عن سَهْل بن سعْد رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأبواب في غاية المناسبة، فإنه ذكر في الأبواب السابقة، وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقق به ظاهرًا وباطنًا، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه.

١-صحيح البخاري في كتاب الزكاة، برقم (١٣٩٥)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (١٩).

يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[1]، يدوكون: أي يخوضون.

«فيه مسائل»

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرةَ من الفرائض.

ثم ذكر في هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة (أن لا إله إلا الله،) فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه، ثم يسعى في تكميل غيره -وهذا هو طريق جميع الأنبياء- فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له- وهي طريقة سيدهم وإمامهم صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين، وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه؛ ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها على التوحيد.

١-صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (٣٧٠١)، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٤٠٦).

الرابعة: من دلائل حُسْن التوحيد: أنه تنزيه الله تعالى عن المسبَّة.

الخامسة: أن من قُبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة -وهي من أهمها-: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى «أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ»[1] معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البُداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالم الشبهةَ عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضًا على كل أحد -كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

١- صحيح البخاري في كتاب التوحيد، برقم (٢٧٣٧).

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحْجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ»[1]. إلخ. عَلَمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: تَفْلُه في عينيه عَلَمٌ من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكِهم تلك الليلة، وشُغلهم عن بشارة الفتْح.

الثالثة والعشرون: الإيمانُ بالقَدَر، لحصولها لمن لم يَسْعَ لها، ومَنْعِها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «عَلَى رِسْلِكَ»[2].

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم.

وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه أو قوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة.

---

١ -صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (٣٠٠٩)، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٤٠٦).

٢-التخريج السابق.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة؛ لقوله: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ . .»[١].

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثوابُ من اهتدى على يديه رجلٌ واحد.

الثلاثون: الحَلِفُ على الفُتْيَا.

قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين.



١- التخريج السابق

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين.

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها، كما قال المصنف رحمه الله.

وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلى أمرين: نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مُقَرَّب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان، وبحقوق الله وحقوق

وقولـه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -حَرُمَ مَالُه وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

خلقه، قاصدًا بذلك وجه الله، وطالبًا رضوانه وثوابه.

ويعلـم أن مـن تمام تفسـيرها وتحقيقهـا البراءة من عبـادة غـير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهـم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله -ينافي معنى (لا إله إلا الله) أشد المنافاة.

وبـيَّن المصنـف رحمه الله: أن من أعظم مـا يبين معنى (لا إلـه إلا الله) قوله صلى الله عليه وسـلم: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[1]. فلـم يجعل مجرد التلفظ بها عاصمًا للدم والمـال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم مالـه ولا دمـه حتـى يضيف إلى ذلك الكفر بمـا يعبد من دون الله، فإن شـك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه.

١-صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٣).

وشرح هذه الترجمة : وما بعدها من الأبواب :

فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وَبَيَّنَهُمَا بأمور- واضحة :

منها: آية الإسراء: بَيَّنَ فيها الردَّ على المشركين الذين يَدْعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة: بَيَّنَ فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دُون الله، وبَيَّنَ أنهم لم يؤمروا إلا بأن يَعبدُوا إلهًا واحدًا، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعبَّاد في المعصية؛ لا دُعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربَّه، وذكر سبحانه: أن هذه البراءة وهذه الموالاة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يُحبُّون أندادهم كحبِّ الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يُدْخِلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب النِّدَّ أكبر من حُبِّ الله ؟ فكيف بمن لم يُحِبَّ إلا النِّدَّ وحده ولم يُحبَّ الله؟!

فتبين بذلك أنه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقًا، ولا بد من القيام بعبودية الله وحده، طاعةً لله وانقيادًا، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك اعتقادًا وقولاً وفعلاً.

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم، ونصرتهم، وبغض أهل

ومنهـا: قوله صلى الله عليه وسـلم: «مَنْ قَالَ: لا إِلَـهَ إلا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[1].

وهـذا من أعظم ما يبـين معنى لا إله إلا الله فإنـه لم يجعل التلفُّظَ بهـا عاصِمًا للدَّم والمـال، بـل ولا معرفة معناها مع لفْظها، بل ولا الإقـرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شـريك له، بل لا يَحْرُمُ ماله ودمُه حتى يُضيفَ إلى ذلك الكفْرَ بما يُعْبَد من دون الله، فإن شَكَّ أو توقَّف لم يَحْرُمْ ماله ودمُه، فيا لها من مسألة ما أعظَمها وأجلها، ويَا لهُ من بيانٍ ما أوضَحَهُ، وحجَّةٍ ما أقْطَعَها للمنازع .

الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة، متى تخلف واحد منها تخلفت البقية. والله أعلم .

١-صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٣) .

باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم: «رَأى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، فقال: انْزَعْهَا فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[1] رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عُقْبَة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللّٰهُ لَهُ، وَمَنْ

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب.

وتفصيل القول فيها: أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا.

ثانيها: أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره

١- سنن ابن ماجه في كتاب الطب، برقم (٣٥٣١)، مسند الإمام أحمد (٤٤٥/٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧٢/١٨).

تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»[١].

وفي رواية: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

ولابن أبي حاتم عن حُذيفة رضي الله عنه: أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦][٢].

«فيه مسائل»

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر[٣]

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «لا تَزِيدُكَ إِلا وَهْنًا»[٤].

لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته؛ ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها، والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء؛ لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب.

إذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد

١- مسند الإمام أحمد (٤ / ١٥٤)، ورواه ابن حبان في صحيحه (١٣/٤٥٠).

٢- تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٦٤/٤.

٣- من [مجموعة التوحيد النجدية] (ط: مكة المكرمة ١٣٩١هـ): أكبر الكبائر.

٤- سنن ابن ماجه في كتاب الطب، برقم (٣٥٣١)، مسند الإمام أحمد (٤/٤٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير ١٧٢/١٨.

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلَّق شيئًا وُكِل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلَّق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

نزوله، أو دفعه قبل نزوله -فقد أشرك، لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

وهو شرك في الربوبية: حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير.

وشرك في العبودية: حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعًا ورجاءً لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء -فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

أما الشرع: فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وكذلك هو من جملة وسائل الشرك، فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد علم أو جرب نفعها -مثل الأدوية المباحة- كان المتعلق بها متعلقًا قلبه بها، راجيًا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده، فإنه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضًا نقص في العقل، حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة: أن الله لا يُتِمَّ له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها. والله أعلم .

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً «أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ -أَوْ قِلادَةٌ- إِلا قُطِعَتْ»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[٢]. رواه أحمد وأبو داود .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[٣] رواه أحمد والترمذي .

«التمائم» : شيء يُعلق على الأولاد يتقون به عن العين، ولكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يُرَخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه؛ منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

باب ما جاء في الرقى والتمائم

أما التمائم فهي: تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط، كما تقدم.

فمنها: ما هو شرك أكبر؛ كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، كما سيأتي إن شاء الله.

١- صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (٣٠٠٥)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١١٥) .

٢- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٨٨٣)، سنن ابن ماجه في كتاب الطب، برقم (٣٥٣٠)، مسند الإمام أحمد (٣٨١/١).

٣- جامع الترمذي في كتاب الطب، برقم (٢٠٧٢)، مسند الإمام أحمد (٣١٠/٤).

و «الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحُمَة.

و «التِّوَلة»: هي شيء يصنعونه، يزعمون أنه يُحَبِّبُ المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى الإمام أحمد عن رُويفع رضي الله عنه، قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ -فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»[١].

وعن سعيد بن جُبير قال: (من قطع تميمةً من إنسان كان كعِدل رقبة) رواه وكيع.

وله عن إبراهيم[٢] قال: كانوا يكرهون التمائم كلَّها من القرآن وغير القرآن.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الرقى والتمائم. الثانية: تفسير التِّوَلَة.

ومنها: ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك. وأما التعاليق التي فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها؛ لعدم ورودها عن الشارع ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة.

وأما الرقى ففيها تفصيل:

فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها

١- سنن النسائي في كتاب الزينة، برقم (٥٠٦٧)، سنن أبي داود في كتاب الطهارة، برقم (٣٦)، مسند الإمام أحمد (١٠٩/٤).

٢- في [فتح المجيد] ص (١٣٣): هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين، والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن، فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين مِن ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على مَن تعلق وَتَرًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبدالله بن مسعود.

من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي، إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدًا من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغي إذا سأل أحدًا أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التي لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكمل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله، ويطلب الشفاء من غيره -فهذا هو الشرك الأكبر- لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

فافهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها .

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1] رواه الترمذي وصححه.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النجم.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

أي: فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر، كما تقدم انطباق

١- جامع الترمذي في كتاب الفتن، برقم (٢١٨٠)، مسند الإمام أحمد (٥/٢١٨).

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا، فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1]، فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طِلْبتهم كطِلْبَة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا.)

التاسعة: أن نفي هذا من معنى (لا إله إلا الله) مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفُتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»[2] فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب؛ خلافًا لمن كرهه.

الحد عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وصخرة بيت المقدس، وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة - فهذا عبودية لله وتعظيم لله، وخضوع لعظمته، فهو روح التعبد.

١، ٢- التخريج السابق

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله: «إِنَّهَا السُّنَنُ»[١].

الثامنة عشرة: أن هذا عَلَم من أعلام النبوَّة لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذمَّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه مقرر عندهم: أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر، أما (من ربك؟) فواضح، وأما (من نبيك؟) فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما (ما دينك؟) فمن قولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف: ١٣٨] إلخ.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»[٢].

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذاك تعظيم للمخلوق وتأله له.

فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد.

١، ٢- التخريج السابق

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي رضي الله عنه قال: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ»[1] رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، قَالُوا: وَكَيْفُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَرَّ رَجُلانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يُجَاوِزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»[2] رواه أحمد.

باب ما جاء في الذبح لغير الله

أي: أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه.

١- صحيح مسلم في كتاب الأضاحي، برقم (١٩٧٨).

٢ – الزهد للإمام أحمد بن حنبل (١-٢٦) حديث (٨٣)، ورواه البيهقي في الشعب ٤٨٥/٥.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

الثانية: تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ [الكوثر: ٢].

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثًا، وهو: الرجل يُحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غيَّرَ منار الأرض، وهي: المراسيم التي تفرِّق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: (أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله،) فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع: فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء.

كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر؛ من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة .

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصًا من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلْبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر؟!

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل: (دخل النار في ذباب.)

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»[1].

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها. والله المستعان.

١- صحيح البخاري في كتاب الرقاق، برقم (٦٤٨٨).

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وعن ثابتِ بن الضَّحاك رضي الله عنه قال: «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا: لا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»[١] رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ١٠٨].

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة؛ ليزول الإشكال.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أحسن إتباع هذا الباب بالباب الذي قبله، فالذي قبله من المقاصد، وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم؛ تقربًا إليها وشركًا بالله قد صار مشعرًا من مشاعر الشرك؛ فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة -ولو قصدها لله- فقد تشبه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم،

١- سنن أبي داود في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٣٣١٣).

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم؛ إبعادًا للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى أنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله؛ خوفًا من التشبه المحذور.

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان: ٧].

وقوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلا يَعْصِه»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ ﴾ [الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم:

باب من الشرك النذر لغير الله

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

١- صحيح البخاري في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٦٦٩٦) .

يقول: «مَنْ نَزلَ مَنْزِلاً، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[1] رواه مسلم.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية؛ من كف شر أو جلب نفع - لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

متى فهمت الضابط السابق في حد الشرك الأكبر وهو: أن (من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك) فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي والى المصنف بينها.

١- صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٧٠٨) .

يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وقوله: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ [النمل: آية: ٦٢].

وروى الطبرانيُّ بإسناده: «**أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ**»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة.

فإن العبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة) والنذر من ذلك.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/١٥٩).

الثانية: تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦].

الثالثة: إن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلبَ الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة، أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة: هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم، أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله -فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو: إقرار عُبَّاد الأوثان: أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد والتأدب مع الله.

أيضًا من العقل، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة، لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم .



باب قول الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: «شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رباعِيَتُه، فقال: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾"[1] [آل عمران: ١٢٨].

وفيه عن ابنِ عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر-: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فلانًا وَفُلانًا بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[2].

باب قول الله تعالى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١]

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.

١- رواه البخاري في كتاب المغازي ٤/١٤٩٣ معلقاً دون قوله «وكسرت رباعيته» ووصله مسلم في الجهاد والسير (١٧٩١).

٢- صحيح البخاري (٤٠٦٩) واللفظ له ومسلم رقم (١٥٣٨) عن أبي هريرة.

وفي رواية: يدعو على صَفوان بن أمية وسُهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[آل عمران: ١٢٨] [١].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٤]، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[٢].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

فتقدم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات-من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين، ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر، ومن شجر وحجر وغيرها- كلهم فقراء إلى الله، عاجزون، ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يُخْلَقُون،

١- أخرجه البخاري في المغازي، برقم (٤٠٧٠) مرسلاً.

٢- صحيح البخاري في كتاب الوصايا، برقم (٢٧٥٣)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٠٤).

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يُؤَمِّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجُّهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آل عمران: ١٢٨].

السابعة: قوله: ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعن المعيَّن في القنوت.

الحادية عشرة: قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٤].

ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله، وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه، وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري، كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله، وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.

الثانية عشرة: جده صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، بحيث فعل ما نُسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، حَتَّى قَالَ: يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[1]، فإذا صرح -وهو سيد المرسلين- بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم- تبيَّن له التوحيد وغربة الدين.

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه،وأمسهم به رحمًا فكيف بغيره ؟ فتبًّا لمن أشرك بالله وساوى به أحدًا من المخلوقين، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه.

فنعوت البارئ تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق- أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو.

وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه، وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفًا ورجاءً وطمعًا، والله أعلم .

١-صحيح البخاري في كتاب الوصايا، برقم (٢٧٥٣)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٠٤) .

باب قول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِه، كَأَنَّه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سبأ: ٢٣]، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ- وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّه، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِه- فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَه، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَه، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»[1].

وعن النَّواس بن سِمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً- أَوْ قَالَ: رَعْدَةً- شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ

باب قول الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ: ٢٣]

وهذا أيضًا برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد، وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الرب وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة

١-صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٨٠٠).

سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيل، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلَّق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: (قال كذا وكذا.)

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السماوات كلهم؛ لأنهم يسألونه.

الثامنة: إن الغشي يعم أهل السماوات كلهم لأنهم يسألونه.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ولا تثبت أفئدتهم

١- جامع البيان للطبري (٢٧٨/١٩)، معالم التنزيل تفسير البغوي (٩٧٤)، وابن خزيمة في التوحيد صفحة ٤١٤.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أُذن وَليِّه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس الباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟!

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات؛ خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي كانا خوفًا من الله عزّ وجلّ.

الثانية والعشرون: أنهم يخرُّون لله سجدًا.

عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده، خاضعة له خائفة منه، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله -إلا هو، ومن سواه ليس له من هذاالحق شيء.

فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله، لا يمكن أن يتصف بها غيره- فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه .

باب الشفاعة

وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون، فنفى أنْ يكون لغيره مِلكٌ أو قِسطٌ منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفعُ إلا لمن أذن له

باب الشفاعة

إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب، لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهًا عظيماً ومقامات عالية، ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى، وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، وإدراك مآربهم.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد،

الرب، كما قال:﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعةُ التي يظنها المشركون: هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمَدُه، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[٢]. فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفرُ لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أنْ يشفع؛ لِيُكْرِمَهُ وينال المقام المحمود.

فالشفاعةُ التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

وتخضع له المخلوقات بأسرها -بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم، ونفوذ قوتهم. فأبطل الله هذا الزعم وبين أن الشفاعة كلها له، كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له.

فبيَّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّن أن الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة، وأنها كلها

١- صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٣٤٠)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (١٩٤).

٢- صحيح البخاري في كتاب العلم، برقم (٩٩).

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أُذن له شفع.

السادسة: مَن أسعدُ الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

منه، رحمةً منه وكرامةً للشافع، ورحمةً منه وعفوًا عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد صلى الله عليه وسلم فيها، وأناله المقام المحمود.

فهذا ما دل عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول في الشفاعة.

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع، وهو كافٍ شافٍ.

فالمقصود في هذا الباب: ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأنه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالاً ولا مشاركة، ولا معاونة، ولا مظاهرة، ولا من الشفاعة شيء، وإنما ذلك كله لله وحده، فتعين أن يكون المعبود وحده .

باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦]

وفي الصحيح، عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة: ١١٣]، **وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ:** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

الثانية: تفسير قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ **الآية** [التوبة: ١١٣].

باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

وهذا الباب أيضًا نظير الباب الذي قبله، وذلك أنه إذا كان صلى الله عليه وسلم هو

١- صحيح البخاري في كتاب المناقب، برقم (٣٨٨٤)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٤).

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة: تفسير قوله: «قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»[1] بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جَهْل وَمَنْ معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل: «قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ»، فَقَبَّح الله مَنْ أبو جَهْل أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جدُّه صلى الله عليه وسلم ومُبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الردُّ على مَنْ زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يُغْفَر له، بل نُهِيَ عن ذلك.

الثامنة: مَضَرَّةُ أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مَضَرَّةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأملُ في كِبَر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة: أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

أفضل الخلق على الإطلاق، وأعظمهم عند الله جاهًا، وأقربهم إليه وسيلة- لا يقدر على هداية من أحب هداية التوفيق، وإنما الهداية كلها بيد الله، فهو الذي تفرد بهداية القلوب، كما تفرد بخلق المخلوقات، فتبين أنه الإله الحق.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] فالمراد بالهداية هنا: هداية البيان، وهو صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله وحيه الذي اهتدى به الخلق .

١- صحيح البخاري في كتاب المناقب، برقم (٣٨٨٤)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٤) .

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح، «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: ٢٣]- قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذْ هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ، عُبِدَتْ»[1].

وقال ابن القيم: قال غيرُ واحدٍ من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم. وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[2] أخرجاه.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم: هو الغلو في الصالحين

والغلو: هو مجاوزة الحد، بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف

١- صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٩٢٠).

٢- صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٤٥).

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»[١].

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلاثًا»[٢].

«فيه مسائل»

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفِطَر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل.

المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء- فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

ومن رفع أحدًا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

١- سنن النسائي في كتاب مناسك الحج، برقم (٣٠٥٧)، سنن ابن ماجه في كتاب المناسك، برقم (٣٠٢٩)، مسند الإمام أحمد (١/٢١٥) .

٢- صحيح مسلم في كتاب العلم، برقم (٢٦٧٠) .

فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فِعل أُناس من أهل العلم والدين شيئًا أرادوا به خيرًا، فظن مُن بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جِبِلَّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حَسُن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي: النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر؛ لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث

والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء: الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو: الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها.

وأهل الحق: الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم، وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضًا: يتبرؤون من أن يدعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى صلى الله عليه وسلم: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تُطْرُونِي كَمَّا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»[١] فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده، ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك: وهو التأله له، وعبادته وحْدَه لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه؛ حبًّا وخوفًا ورجاءً.

وحق خاص للرسل: وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك: وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله، ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلاً وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله، وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم. والله أعلم .

١- صحيح البخاري في كتاب الأنبياء، برقم (٣٤٤٥) .

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سَلَمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ- أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ- بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»[1] فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما عنها - أي: عن عائشة رضي الله عنها- قالت: لما نُزِل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال -وهو كذلك-: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[2] أخرجاه.

ولمسلم عن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم.

١- صحيح البخاري في كتاب الصلاة، برقم (٤٢٧) ، صحيح مسلم في كتاب الصلاة، برقم (٥٢٨) .

٢- صحيح البخاري في كتاب الصلاة، برقم (٤٣٦)، صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٣١) .

قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[١] . فقد نهى عنه آخر حياته.

ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبن مَسْجِد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدًا، فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليبنوا حَولَ قبره مسجدًا، وكلُّ موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخِذ مسجدًا، بل كل موضع يصلَّى فيه يسمى: مسجدًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[٢].

ولأحمد بسند جيِّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[٣]، ورواه أبو حاتم في [صحيحه].

وذلك أن ما يفعل عندها نوعان: مشروع وممنوع.

أما المشروع: فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل، يزورها المسلم متبعًا للسنة، فيدعو لأهلها عمومًا، ولأقاربه ومعارفه خصوصًا، فيكون محسنًا إليهم بالدعاء لهم، وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

أما الممنوع فإنه نوعان:

أحدهما: محرم ووسيلة للشرك؛ كالتمسح بها، والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

١- صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٣٢).

٢- صحيح البخاري في كتاب التيمم، برقم (٣٣٥)، صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١) .

٣- صحيح ابن حبان (٦٨٤٧)، أحمد (٤٠٥/١).

«فيه مسائل»

الأولى: ما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن بنى مسجدًا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم في ذلك، كيف بيَّن لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

والنوع الثاني: شرك أكبر؛ كدعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل، وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجدًا، وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته -قبل موته بخمس- الرد على الطائفتين اللتين هما أشرّ أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلِيَ به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع.الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

بهم –يكفر[١] .

من زعم ذلك فقد كذب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة من أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين، سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين.

وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة- ما حصل، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه .

١- لعله : لم يكفر.

باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك في [الموطأ]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[١] .

ولابن جرير بسنده عن سُفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ ﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان يَلُتُّ لهم السَّويق، فمات فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلُتُّ السَّويق للحاج[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[٣] رواه أهل السنن.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الأوثان .

الثانية: تفسير العبادة .

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه، الرابعة: قَرْنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

١- موطأ مالك في كتاب النداء للصلاة، برقم (٤١٦)، ورواه أحمد (٢٤٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. بلفظ: اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

٢- أخرجه البخاري في التفسير (٦١١/٨) تفسير سورة النجم.

٣- جامع الترمذي في كتاب الصلاة، برقم (٣٢٠) ، سنن أبي داود في كتاب الجنائز، برقم (٣٢٣٦)، سنن النسائي في كتاب الجنائز، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائر، برقم(١٥٧٥)، مسند الإمام أحمد (٣٣٧/١).

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح، الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوَّارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.



باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[1] رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[2] [رواه في [المختارة].

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار تعلق القلب بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع بفضله وإحسانه، والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين، وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم،

١- سنن أبي داود في كتاب المناسك، برقم (٢٠٤٢)، مسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢)، قال ابن تيمية في الاقتضاء (صفحة ٣٢١): «اسناده حسن ورواته ثقات مشاهير لكن عبدالله بن نافع الصائغ الفقيه صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه».

٢- رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤٩/٢).

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحِمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أُمته في الصلاة والسلام عليه.

والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية، وهو: الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين.

ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم.

ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوسل بها إلى الشرك، كل ذلك حماية للتوحيد.

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح.

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة .

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟!»[1] أخرجاه.

ولمسلم عن ثَوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ: بَيْنَ أَقْطَارِهَا-

---

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله، وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه؛ من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلاً لا عبادة- فإن هذا باطل.

١- صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٥٦)، صحيح مسلم في كتاب العلم، برقم (٢٦٦٩).

حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

ورواه البرقاني في [صحيحه]، وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[٢].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالْجِبْتِ والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بُغْضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصودة بالترجمة: أن هذا لا بدَّ أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.

فإن الوثن: اسم جامع لكل ما عبد من دون الله، لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع، وهو العبادة، فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثنًا، وخرج بذلك عن الدين، لم ينفعه انتسابه إلى

١- صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، برقم (٢٨٨٩).

٢- أخرجه بالزيادة المذكورة أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٥/٢٧٨، ٢٨٤).

السابعة: التصريح بوقوعها -أعني: عبادة الأوثان- في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حقٌّ، وأنَّ القرآن حقٌّ، وفيه أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق في هذا كله مع التضادِّ الواضح، وقد خرج المختارُ في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم مَنْ خَذَلهم، ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زوى له المشارقَ والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال،وإخباره بأنه أُعطي الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه مُنِعَ الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حَصْرُ الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر، منافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامي والألفاظ التي لا حقيقة لها .

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾[البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان [١].

وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت كُهَّان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي

باب ما جاء في السحر، وباب بيان شيء من أنواع السحر

وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيرًا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية، إلى مقاصد الساحر

فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله، قليله وكثيره؛ ولهذا قرنه الشارع بالشرك.

فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين، ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون؛ ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

١- أخرجه ابن جرير (١٣/٣، ٨٣/٥)، وابن أبي حاتم وأبو القاسم البغوي كما في تفسير ابن كثير (٣١١/١).

٢- علقه البخاري (٢٥١/٨)، ووصله ابن جرير (١٣/٣)، وابن أبي حاتم كما تفسير ابن كثير (٥١٢/١).

حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[١].

وعن جندب رضي الله عنه مرفوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»[٢] رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي [صحيح البخاري] عن بَجَالَة بن عَبَدة قال: كتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: أن اقتلوا كَلَّ ساحرٍ [٣] وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر.

وصح عن حفصة رضي الله عنها أنَّها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرتها، فقتلت [٤]، وكذلك صحَّ عن جندب [٥].

قال أحمد: عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجنِّ، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

١- صحيح البخاري في كتاب الوصايا، برقم (٢٧٦٧)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٨٩).

٢- جامع الترمذي في كتاب الحدود، برقم (١٤٦٠).

٣- أخرجه أبو داود (٣٠٤٣)، وأحمد (١/١٩٠، ١٩١)، والبيهقي في سننه الكبرى (٨/١٣٦)، وابن حزم (١١/٣٩٧)

٤- أخرجه عبدالله بن أحمد في المسائل (١٥٤٣)، والبيهقي (٨/١٣٦) .

٥- أخرجه البخاري في التأريخ الكبير (٢/٢٢٢)، والبيهقي في السنن (٨/١٣٦).

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يُقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟!



باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيَّان بن العلاء، حدثنا قَطَنُ بن قَبيصة عن أبيه رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»[١].

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطَّرْقُ: الخط يُخط بالأرض، والجبت: قال الحسن: رنَّة الشيطان. إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في [صحيحه] المسندُ منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[٢].

رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه، وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضًا من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة؛ كالقتل والتفريق بين

١- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩٠٧)، مسند الإمام أحمد (٦٠/٥)، والنسائي في سننه الكبرى (٣٢٤/٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٠٢/١٣).

٢- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩٠٥)، سنن ابن ماجه في كتاب الأدب، برقم (٣٧٢٦)، مسند الإمام أحمد (٣١١/١).

٣- سنن النسائي في كتاب تحريم الدم، برقم (٤٠٧٩).

مَا العَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[1] رواه مسلم .

ولهمـا عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[2].

«فيه مسائل»

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

المتحابين، والصرف، والعطف، والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله؛ ولذلك تعين قتل الساحر؛ لشدة مضرته وإفساده.

ومن أنواعه الواقعة في كثير من الناس: النميمة، لمشاركتها للسحر في التفريق بين الناس، وتغيير قلوب المتحابين، وتلقيح الشرور.

فالسحر أنواع ودركات، بعضها أقبح وأسفل من بعض .

١- صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والأدب، برقم (٢٦٠٦) .

٢- صحيح البخاري في كتاب الطب، برقم (٥٧٦٧)، ورواه مسلم في كتاب الجمعة رقم (٢٠٠٦) من حديث عمار ابن ياسر.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في [صحيحه] عن بعض أزواج النبي ،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢). رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم -وقال: صحيح على شرطهما- عن أبي هريرة: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣) ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا (٤).

وعن عمران بن حُصين مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَأَوْ تُطِيِّرَلَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(٥) صلى الله عليه وسلم . رواه البزار بإسناد جيد.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

أي: من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق، وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وقد كذَّب الله ورسوله.

١- صحيح مسلم في كتاب السلام، برقم (٢٢٣٠) .

٢- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩٠٤) .

٣- جامع الترمذي في كتاب الطهارة، برقم (١٣٥)، سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩٠٤)، سنن ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، برقم (٦٣٩)، سنن الدارمي (١١٣٦)، مسند الإمام أحمد (٤٢٩/٢)، وأخرجه الحاكم (٨/١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه».

٤- أبو يعلي في مسنده (٢٨٠/٩).

٥- مسند البزار (٣٥٧٨).

ورواه الطبراني في [الأوسط] بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا»[١] إلى آخره.

قال البَغَوي: العَرَّاف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضَّالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يُخبر عن المغيَّبات في المُستقبل.

وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف اسم للكاهن والمنجم والرَّمَّال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق [٢].

وقال ابن عباس -في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم-: ما أرى مَن فعَلَ ذلك له عند الله من خلاق [٣].

«فيه مسائل»

الأولى: أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به.

ومن جهة التقرب إلى غير الله.

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول .

١- المعجم الأوسط للطبراني (٣٢٦٢)، وأخرجه البزار (٢٣٩٩/٤).

٢- مجموع الفتاوى (١٧٣/٣٥).

٣- البيهقي في سننه الكبرى (١٣٩/٨)، وفي شعب الإيمان (٣٠٦/٤)، وأخرجه عبدالرزاق (٢٦/١١).

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهِّنَ له.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.



باب ما جاء في النشرة

عن جابر رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[١] رواه أحمدُ بسند جيّد، وأبو داود . وقال: سُئل أحمدُ عنها، فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كلَّه.

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيّب: رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أَيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر ؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. انتهى [٢].

وروي عن الحسن أنه قال: لا يَحُلُّ السحر إلا ساحر [٣].

قال ابن القيم [٤]: النُّشْرَةُ حلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرَّب الناشرُ والمنتشر إلى الشيطان بما يُحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النُّشْرَةُ بالرُّقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة -فهذا جائز.

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

باب ما جاء في النشرة

وهو: حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية .

١- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٨٦٨)، مسند الإمام أحمد (٢٩٤/٣).

٢- ذكره البخاري معلقاً في كتاب الطب، راجع فتح الباري (٢٤٤/١٠).

٣- هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد (٧٧/٣).

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣٩٦/٤).

باب ما جاء في التطير

وقـول الله تعـالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ»[1] أخرجاه.

زاد مسلم: «وَلا نَوْءَ، وَلا غُولَ»[2].

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[3].

باب الطيرة

وهو: التشـاؤم بالطيور، والأسماء والألفاظ والبقاع، وغيرها، فنهى الشـارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.

والفرق بينهما: أن الفأل الحسـن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلـب بغـير الله، بل فيه من المصلحة النشـاط والسـرور وتقوية النفـوس على المطالب النافعة.

وصفـة ذلـك: أن يعزم العبـد على سـفر أو زواج أو عقد من العقـود أو على حالة من

١- صحيح البخاري في كتاب الطب، برقم (٥٧١٧)، صحيح مسلم في كتاب السلام، برقم (٢٢٢٠).

٢- قوله (ولا نوء) رواه مسلم في كتاب السلام رقم (٥٧٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقوله (لا غول) رواه مسلم (٥٧٥٦) عن جابر رضي الله عنه.

٣- صحيح البخاري في كتاب الطب، برقم (٥٧٧٦)، صحيح مسلم في كتاب السلام، برقم (٢٢٢٤).

ولأبي داود -بسند صحيح-، عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا أَنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلا أَنْتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ»[1].

وله من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إلا[2] وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[3]. رواه أبو داود والترمذي وصحَّحه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[4].

الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلامًا يسره، مثل: يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره -أثر في قلبه أحد أمرين: أحدهما أعظم من الآخر:

١- سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩١٩).

٢- في الحديث حذف يعرف بالقرينة، أي: إلا ويقع في نفسه شيء من التأثير بحسب العادة والوراثة، ولكن الله يذهبه من قلب المؤمن؛ لإيمانه بأن حركة الطير لا تأثير لها في سير المقادير. ا. هـ. من [مجموعة التوحيد النجدية]. (ط مكة المكرمة ١٣٩١هـ) ص (٣٧).

٣- جامع الترمذي في كتاب السير، برقم (١٦١٤)، سنن أبي داود في كتاب الطب، برقم (٣٩١٠)، سنن ابن ماجه في كتاب الطب، برقم (٣٥٣٨)، مسند الإمام أحمد (١/٤٣٨).

٤- مسند الإمام أحمد (٢ / ٢٢٠).

وله من حديث الفَضْل بن عبَّاس: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»[١].

«فيه مسائل»

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١] مع قوله: ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ ﴾ [يس: ١٩].

الثانية: نفي العدوى.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضرُّ، بل يُذْهِبُه الله بالتوكل.

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازمًا على فعله، أو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه، وأخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسبابًا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل،

١- مسند الإمام أحمد (١ / ٢١٣).

التاسعة: ذكر ما يقول مَنْ وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزنًا وهمًّا وغمًّا، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه، وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل.

وينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية -أن يجاهد نفسه على دفعها، ويستعين الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه؛ ليندفع الشر عنه .

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاريُّ في [صحيحه]: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يهتدى بها، فمن تأوَّل فيها غَير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به. انتهى.

وكره قتادةُ تعلُّم منازل القمر، ولم يُرَخِّص ابنُ عيينة فيه، ذكره حربٌ عنهما.

ورخَّص في تعلُّمِ المنازل أحمد وإسحاق .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»[1] رواه أحمد وابن حبان في [صحيحه].

«فيه مسائل»

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

باب ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان :

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل، ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد؛ لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

١- مسند الإمام أحمد (٢٣٩٩/٤)، ورواه ابن حبان (١٣٨٠) .

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع، قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات.

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[1] رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[2].

ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قال بعضهم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

باب ما جاء في الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولاً واعترافًا واستعانة بها على طاعته -كان قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا ينافي هذا المقصود أشد المنافاة؛ لإضافة المطر إلى النوء.

---

١ - صحيح مسلم في كتاب الجنائز، برقم (٩٣٤).

٣- صحيح البخاري في كتاب الأذان، برقم (٨٤٦)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٧١).

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٨٢].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يُخْرِجُ عن الملة.

الخامسة: قوله: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» [1] بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: (لقد صدق نوء كذا وكذا.)

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله، فإنه الذي تفضل بها على عباده.

ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته، وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه، ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره.

١- صحيح مسلم في كتاب الأذان، برقم (٨٤٦).

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

العاشرة: وعيد النائحة.

وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه .



باب قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1] أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[2].

باب قول الله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

١- صحيح البخاري في كتاب الإيمان، برقم (١٥)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٤٤).

٢- صحيح البخاري في كتاب الإيمان، برقم (١٦)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٤٣).

وفي رواية: «لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى»[1]. إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «مَنْ أَحَبَّ في اللَّه، وَأَبْغَضَ في اللَّه، وَوَالَى في اللَّه، وَعَادَى في اللَّه، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلايَةُ اللَّه بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ، وَإِنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا». رواه ابن جرير [2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال: المودَّة [3].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب[4] محبته صلى الله عليه وسلم على النفس والأهل والمال.

ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله، ويقدم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم - فهذا هو الشرك الأكبر ، الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك

١- صحيح البخاري في كتاب الأدب، برقم (٦٠٤١).

٢- رواه البيهقي في الشعب (٧/٧٠)، وابن المبارك في الزهد (١/١٢٠).

٣- أخرجه ابن جرير (٢/٤٣)، والحاكم (٢/٢٧٢).

٤- لعل الصواب: وجوب تقديم محبته.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان، وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦].

قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة -أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وعداوة.

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة الله: التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله: وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

الثالث: محبة مع الله: وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، وملك، وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه.

وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية: التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها، وهذه إذا كانت مباحة -إن أعانت على محبة الله وطاعته- دخلت في باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإلا بقيت من أقسام المباحات. والله أعلم .

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حبًّا شديدًا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.



باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[1].

باب قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولا بد في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه.

اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

١- شعب الإيمان للبيهقي (١/١٥١-١٥٢)، حلية الأولياء (٦٦٧٩).

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[1] رواه ابن حبَّان في [صحيحه].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه- كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة -التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله.

وأيضًا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة؛ وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة، أو نحو ذلك مما هو واقع من عُبَّاد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو، أو سبع، أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين، ولا ينافي الإيمان.

١- صحيح ابن حبان (١/٥١١) .

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه؛ ومن ذلك: هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

وهذا إذا كان خوفًا محققًا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم.

وإن كان هـذا خوفـًا وهميًّا كالخوف الذي ليس له سـبب أصلاً، أو له سـبب ضعيف -فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن، فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع، حتـى إن خـواص المؤمنـين وأقوياءهم تنقلـب المخاوف في حقهـم أمنًـا وطمأنينة؛ لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم؛ ولهذا أتبعه بهذا الباب .

باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]»[1] رواه البخاري والنسائي.

باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]

التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية

١- صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٥٦٣)، السنن الكبرى للنسائي (١١٠١٥).

«فيه مسائل»

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم في الشدائد.

الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله .

باب قول الله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقوله: ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ٥٦ ﴾ [الحجر: ٥٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ، فَقَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ»[1].

باب قول الله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفًا من الله، راجيًا له، راغبًا راهبًا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، إن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها، وخاف من ردها بتقصيره في حقها، وإن ابتلي بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها، وعند النعم والمسار يرجو الله دوامها والزيادة منها، والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها، وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضًا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر، ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب، وهو النافع، وبه تحصل السعادة ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

١- تفسير ابن أبي حاتم (١٢٥/٤)، ورواه البزار (١٠٦)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥٢/١٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق [١].

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران:

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه، ويتجرأ على المحارم، فيصر عليها، ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله، لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفًا وخلقًا لازمًا.

وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد. ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرجَ له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه، ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئ من ضعف علم العبد بربه، وماله من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه، وإلى رحمته وجوده وكرمه.

١- أخرجه عبدالرزاق (١٠/٤٥٩-٤٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٠)، وابن جرير (٥/٢٦) من طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن كثير (١/٤٨٤): «هو صحيح إليه بلا شك».

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحِجْر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

وللأمن من مكر الله أيضًا سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضًا غافلاً مقصرًا عن الواجبات، منهمكًا في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء، لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

السبب الثاني: أن يكون العبد عابدًا جاهلاً معجبًا بنفسه، مغرورًا بعمله، فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمنًا من مكر الله، متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذي جنى على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد .

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

قال عَلْقَمةُ: هو الرجلُ تُصيبه المصيبةُ فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم [١].

وفي [صحيح مسلم] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[٢].

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

باب من الإيمان الصبر على أقدار الله

أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان، بل هما أساسه وفرعه، فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن محارم الله.

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول:

تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما.

١- رواه البيهقي في الشعب (١٩٦/٧)، وانظر تغليق التعليق لابن حجر (٥٧/٣).

٢- صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٦٧).

٣- صحيح البخاري في كتاب الجنائز، برقم (١٢٩٧)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (١٠٣).

٤- جامع الترمذي في كتاب الزهد، برقم (٢٣٩٦)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ١٤٥)، والحاكم في المستدرك (٦٥١/٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَاءُ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[1] حسنه الترمذي.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله بعبده الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذا العموم، ولكن خص بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به.

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أتم الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد -رضي بقضاء الله، وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقربًا إلى الله، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه، واغتنامًا لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده .

١- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١).

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1] رواه مسلم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُل فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[2] رواه أحمد.

باب ما جاء في الرياء ثم قال:

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملاً لها، قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعة، ولا رياسة ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

١- صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٥).

٢- سنن ابن ماجه في كتاب الزهد، برقم (٤٢٠٤)، مسند الإمام أحمد (٣٠/٣)، والحاكم (٣٢٩/٤).

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك: بأن يصلي المرء لله، لكن يُزَيِّنُها لما يرى من نظر رجل إليه.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد- فعمله حابط، وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله- فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل .

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[1].

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها؛ لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها:

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة- فهذا ليس له في الآخرة من نصيب.

١- صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير، برقم (٢٨٨٧).

«فيه مسائل»

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعطيَ رَضِيَ وإن لم يُعْطَ سخط.

الخامسة: قوله: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

السادسة: قوله: «وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فان المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان، لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا- والقصدان متساويان أو متقاربان- فهذا وإن كان مؤمنًا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا ولكنه يأخذ على عمله جعلاً ومعلومًا يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها- فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده؛ لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية؛ كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرف تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزل الأمور منازلها. والله أعلم .

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا من دون الله

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يُوشِكُ أنْ تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! [(١)].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحَّتَه، يذهبون إلى رأي سُفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعلَّه إذا رَدَّ بعضَ قوله أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلِك [(٢)].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: أَلَيْس يُحَرِّمونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَه، وَيُحِلُّون

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وباب قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [النساء: ٦٠]

١- رواه أحمد (٣٣٧/١)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٩/٢-٢٤٠).

٢- رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٤/١).

مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».[1] رواه أحمد والترمذي وحسَّنه.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى: الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يؤله ويعبد وحده لا شريك له، ويطاع طاعة مطلقة فلا يعصى، بحيث تكون الطاعات كلها تبعًا لطاعته، فإذا اتخذ العبد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجعل طاعتهم هي الأصل، وطاعة الله ورسوله تبعًا لها- فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، يتألههم ويحاكم إليهم، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه، فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله.

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكمًا، وإن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصًا لوجه الله.

١- جامع الترمذي في كتاب تفسير القرآن، برقم (٣٠٩٥)، ورواه البيهقي في سننه الكبرى (١١٦/١٠)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان (ص ٦٤).

باب قول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء: ٦٠- ٦٢].

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[١].

قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب [الحجة] بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد، عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب.

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق، كما ذكره المصنف في الباب الآخر.

١- شرح السنة للبغوي (١٠٤)، السنة لابن أبي عاصم (١٥).

أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [النساء: ٦٠] [١].

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فذكر له أحدُهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله [٢].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١].

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

الرابعة: تفسير ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربًّا، وقد حاكم إلى الطاغوت.

١- أخرجه الطبري (٩٧/٥).

٢- انظر: معالم التنزيل للبغوي (٥٥٢/١).

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

وفي [صحيح البخاري]: قال علي رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ»[١] .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقَّةً عند مُحْكَمِهِ، وَيَهلَكُون عند متشابهه. انتهى [٢].

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الرعد: ٣٠] [٣].

«فيه مسائل»

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

أصل الإيمان وقاعدته التي ينبني عليها هو: الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته.

وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به، وتعبد لله بذلك قوي توحيده، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال، ليس له في كماله مثيل-

---

١- صحيح البخاري (١٢٧).

٢- أخرجه عبدالرزاق (٢٠٨٩٥).

٣- أخرجه ابن جرير (١٠١/١٣).

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: تركُ التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلَّة: أنه يُفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق، وأن إلـٰهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر.



باب قول الله تعالى:

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ ﴾[النحل: ٨٣].

قـال مجاهد -ما معناه-: هو قول الرجل: هذا مالي ورِثتهُ عن آبائي، وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا [1].

وقـال أبـو العباس [2] - بعد حديـث زيد بن خالد الذي فيـه: أن الله تعالى قـال: «أَصْبَحَ مِـنْ عِبَـادِي مُؤْمِنٌ بِـي وَكَافِرٌ» [3]، الحديث، وقد تقدم-: وهذا كثيرٌ في الكتاب والسـنة، يذم سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ويُشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريحُ طيِّبةً، والملاحُ حاذقًا، ونحوِ ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

باب قول الله تعالى:

﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً واعترافًا كما تقدم، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسـانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسـه وعمله، وإلى سـعي غيره، كما هو جار على ألسنة كثير من الناس-

---

١- روى هذه الأقوال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية.

٢-مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٣/٨).

٣- صحيح البخاري في كتاب الأذان، برقم (٨٤٦)، صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٧١).

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثيرة.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكار للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك، ولا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافًا.

فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

١- اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

٢- والتحدث بها والثناء على الله بها.

٣- والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته. والله أعلم .

باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: الأندادُ: هو الشِّركُ، أخفى من دَبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظُلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البَطُّ في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم [١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّٰهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[٢] رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا [٣].

وعن حُذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تَقُولُوا مَا شَاءَ

باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[البقرة: ٢٢]

الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندًّا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات.

وهذه الترجمة المراد بها: الشرك الأصغر؛ كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير

١- أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥٧/١).

٢- المستدرك على الصحيحين (٢٩/٤)، جامع الترمذي في كتاب النذور والأيمان، برقم (١٥٣٥)، سنن أبي داود في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٣٢٥١)، مسند الإمام أحمد (٣٤/٢).

٣- أخرجه عبدالرزاق (٤٦٩/٨)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»[1] رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي: أنَّه يكره أنْ يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوِّزُ أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان [2].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغَموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثُمَّ في اللفظ.

الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ؛ كلولا الله وفلان، وهذا بالله وبك، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله؛ كلولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل- فكل هذا ينافي التوحيد.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول:

لولا الله ثم كذا؛ ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره.

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله .

١- سنن أبي داود في كتاب الأدب، برقم (٤٩٨٠)، مسند الإمام أحمد (٣٩٩/٥).

٢- رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (١٩٣/١).

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ**»[1] رواه ابن ماجه بسند حسن.

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

ويراد بهذا: إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة- فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلاله يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله.

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق، أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات- فهو داخل في الوعيد؛ لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

وأما من عرف منه الفجور والكذب، وحلف على ما تيقن كذبه فيه، فإنه لا يدخل تكذيبه في الوعيد؛ للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد؛ لأن حالته متيقنة. والله أعلم.

١- سنن ابن ماجه في كتاب الكفارات، برقم (٢١٠١).

باب قول: (ما شاء الله وشئت)

عن قُتَيلة رضي الله عنها: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»[1]، رواه النسائي وصحَّحه.

وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2].

ولابن ماجه، عن الطُّفيل -أخي عائشة رضي الله عنها لأمها- قال: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ، لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ

باب قول: (ما شاء الله وشئت)

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢].

١- سنن النسائي في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٣٧٧٣)، مسند الإمام أحمد (٣٧١/٦).

٢- السنن الكبرى للنسائي (١٠٧٥٩)، مسند الإمام أحمد (٣٤٧/١).

اللَّهُ وَحْدَهُ»[١].

«فيه مسائل»

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله صلى الله عليه وسلم: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّه نِدًّا؟» فكيف بمن قال:

(يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك)

والبيتين بعده!.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا»[٢].

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببًا لشرع بعض الأحكام.

---

١ و ٢- سنن ابن ماجه في كتاب الكفارات، برقم (٢١١٨) ، سنن الدارمي في كتاب الاستئذان، برقم (٢٦٩٩)، مسند الإمام أحمد (٧٢/٥).

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[1].

وفي رواية: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**»[2].

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

باب من سب الدهر فقد سب الله

وهذا واقع كثيرًا في الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر والوقت، وربما لعنوه.

وهذا ناشئ من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء، فإنه مُدَبَّر مُصَرَّف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره.

وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل، فيه تزداد المصائب، ويعظم وقعها ويغلق

١- صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٨٢٦)، صحيح مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، برقم (٢٢٤٦).

٢- صحيح مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، برقم (٢٢٤٦)، مسند الإمام أحمد (٢/٣٩٥).

الثالثة: التأمل في قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»[1].

الرابعة: أنه قد يكون سابًّا، ولو لم يقصده بقلبه.

باب الصبر الواجب، وهذا مناف للتوحيد.

أما المؤمن فإنه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله، ويسلم لأمره، وبذلك يتم توحيده وطمأنينته .

١- صحيح مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، برقم (٢٢٤٦)

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصَّحِيحِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لا مَالِكَ إِلا اللَّهُ»[1] .

قال سفيان: مثلُ: شاهان شاه.

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ»[2]، قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك .

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان .

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

«عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّى : أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

وباب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق. وهو: أنه يجب أن لا يُجعل لله ند في النيات والأقوال والأفعال. فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته،

١- صحيح البخاري في كتاب الأدب، برقم (٦٢٠٦)، صحيح مسلم في كتاب الأداب، برقم (٢١٤٣) .

٢- صحيح مسلم في كتاب الآداب، برقم (٢١٤٣) .

وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا؟! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[1] رواه أبو داود وغيره.

«فيه مسائل»

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

كقاضي القضاة، وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم ونحوه، وكل هذا حفظ للتوحيد، ولأسماء الله وصفاته، ودفع لوسائل الشرك، حتى في الألفاظ التي يخشى أن يتدرج منها إلى أن يظن مشاركة أحد لله في شيء من خصائصه وحقوقه.

١- سنن أبي داود في كتاب الأدب، برقم (٤٩٥٥)، سنن النسائي في كتاب آداب القضاة، برقم (٥٣٨٧).

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[التوبة: ٦٥].

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلَم وقتادة رضي الله عنهم -دخل حديث بعضهم في بعض- أنه قال رجل في غزوة تبوك: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ، أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ- يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ -فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[التوبة: ٦٥]، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦] مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»[1].

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أي: فإن هذا مناف للإيمان بالكلية، ومخرج من الدين؛ لأن أصل الدين: الإيمان بالله وكتبه ورسله.

ومن الإيمان: تعظيم ذلك. ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من

١- رواه ابن جرير (١٠/١١٩).

«فيه مسائل»

الأولى: وهي العظيمة: أن مَنْ هَزَلَ بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنًا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يُحِبُّهُ الله، وبين الغِلْظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل.

الكفر المجرد؛ لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء.

فإن الكفار نوعان : معرضون ومعارضون.

فالمعارض: المحارب لله ورسوله، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفرًا وأعظم فسادًا.

والهازل بشيء منها من هذا النوع .

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [فصلت: ٥٠].

قال مُجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوقٌ به [١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يُريد من عندي [٢].

وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ ﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب [٣].

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل.

وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف [٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ [فصلت: ٥٠]

مقصود هذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه

١- ذكره البخاري معلقاً عند تفسيره سورة فصلت.

٢- ذكره القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية المذكورة.

٣- راجع تفسير الطبري في تفسير تلك الآية.

٤- ذكره ابن جرير عند تفسيره لتلك الآية.

ثَلاثَـةً مِـنْ بَنِـي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْـرَعَ وَأَعْمَـى، فَـأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَـثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَـى الأَبْرَصَ فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَـدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، قَالَ: فَمَسَحَـهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَـذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًـا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَـالَ: فَـأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَـالَ: الإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسْحَـاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ؛ وَيَذْهَـبُ عَنِّـي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِـهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِـيَ شَعَرًا حَسَنًا، فقَالَ: أَيُّ الْمَـالِ أَحَـبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، أَوِ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَـرَةً حَامِلاً، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَعْمَى، فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَـهُ فَـرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَـالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَـمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّـهُ أَتَـى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَلا بَلاغَ لِي الْيَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَـنَ وَالْمَـالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَـالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَـهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُـنْ أَبْرَصَ يَقْـذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ؟ فَقَـالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِـهِ، فَقَـالَ لَهُ مِثْلَ مَـا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْـلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ لَـهُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَـيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَـا كُنْـتَ. قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَـى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِـينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَـدِ انْقَطَعَـتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِي الْيَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ

وفطنته، أو أنه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق، فإن هذا منافٍ للتوحيد؛ لأن المؤمـن حقًّا من يعـترف بنعم الله الظاهـرة والباطنة، ويثني على الله بهـا، ويضيفها إلى فضله وإحسـانه، ويسـتعين بها على طاعته، ولا يرى له حقًّا علـى الله، وإنما الحق كله لله، وإنه عبد محض من جميع الوجوه، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد، وبضده يتحقق

بَصَـرَكَ شَـاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَـرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ عَلَـيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَـا شِئْـتَ، فَوَاللَّهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَـالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1] أخرجاه.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى ﴿ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾[فصلت: ٥٠].

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾[القصص: ٧٨].

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العِبَرِ العظيمة.

كفران النعم، والعجب بالنفس، والإدلال الذي هو من أعظم العيوب .

١- صحيح البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٤٦٤)، صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٤).

باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: لما تغشَّاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليسُ فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة لَتُطِيعُنني أو لأجعلنَّ له قَرْني أيلٍ، فيخرج من بطنك فيشقّه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يخوِّفهما، سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يُطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما، فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله:

﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ [الأعراف: ١٩٠] رواه ابن أبي حاتم [٢].

وله بسند صحيح، عن قتادة، قال: وشركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله:

﴿ لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنسانًا.

باب قول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد، وكمل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين في أبدانهم.

١- مراتب الإجماع لابن حزم ص (١٥٤).

٢- رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عند تفسيرهما لتلك الآية.

وذُكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

«فيه مسائل»

الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله .

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هِبَة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

وتمام ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا الله على إنعامه، وأن لا يُعبِّدوا أولادهم لغير الله، أو يضيفوا النعم لغير الله، فإن ذلك كفران للنِّعم منافٍ للتوحيد .

باب قول الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: يشركون [١].

وعنه: سمُّوا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز.

وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

باب قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]

أصل التوحيد: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها.

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب، ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى، وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف.

١- رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عند الآية المذكورة .

«فيه مسائل»

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارضَ من الجاهلين الملحدين.

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب؛ تعظيمًا لله وإجلالاً له.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله، وخشوعًا وانكسارًا بين يديه.

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارًا، واضطرارًا إليه، والتفاتًا إليه كل وقت، في كل حال.

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

إلا للكمل من الموحدين.

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى.

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة.

والإلحاد أنواع :

إما أن ينفي الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم.

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين، كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم.

وإما بتسمية المخلوقين بها، كما يفعله المشركون، حيث سمّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى، فشبهوها بالله، ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة.

فحقيقة الإلحاد في أسماء الله : هو الميل بها عن مقصودها؛ لفظًا أو معنى، تصريحًا أو تأويلاً أو تحريفًا، وكل ذلك منافٍ للتوحيد والإيمان .

باب لا يقال السلام على الله

في الصحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تَقُولُوا: السَّلامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلامُ»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

باب لا يقال: (السلام على الله)

وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلامُ»، فهو تعالى السلام، السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أحد من خلقه له، وهو المسلم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، وهو الغني الحميد .

١- صحيح البخاري في كتاب الأذان، برقم (٨٣١)، صحيح مسلم في كتاب الصلاة، برقم (٤٠٢) .

باب قول: (اللهم اغفر لي إن شئت)

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»[1].

ولمسلم: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[2].

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

باب قول: (اللهم اغفر لي إن شئت)

الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك -قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلبًا ملحًا جازمًا، وهذا الطلب عين العبودية ومخها.

ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ

١- صحيح البخاري في كتاب التوحيد، برقم (٧٤٧٧)، صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٦٧٩).

٢- صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٦٧٩).

الثالثة: قوله: «لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ».

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»[1]، وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضررها، فالداعي يعلقها على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرةً ورحمةً ولطفًا.

١- صحيح البخاري في كتاب المرضى، برقم (٥٦٧١) صحيح مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٦٨٠).

باب لا يقول: (عبدي وأمتي)

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبد: ربِّي، ولا يقال له: أَطْعِم ربَّك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب لا يقول: (عبدي وأمتي)

وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول: عبدي وأمتي إلى فتاي وفتاتي، تحفظًا عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور، ولو على وجه بعيد، وليس حرامًا، وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التي لا توهم محذورًا بوجه. فإن الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص، خصوصًا هذه الألفاظ التي هي أمس بهذا المقام.

١- صحيح البخاري في كتاب العتق، برقم (٢٥٥٢)، صحيح مسلم في كتاب الألفاظ في الأدب وغيرها، برقم (٢٢٤٩).

باب لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[1] رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

«فيه مسائل»

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنيعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: «حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

باب لا يرد من سأل بالله

وباب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

الباب الأول: خطاب للمسؤول، وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة، وتوسل إليه بأعظم الوسائل -وهو السؤال بالله- أن يجيبه احترامًا وتعظيمًا لحق الله، وأداءً لحق أخيه؛ حيث أدلى بهذا السبب الأعظم .

١- سنن النسائي في كتاب الزكاة، برقم (٢٥٦٧)، سنن أبي داود في كتاب الزكاة، برقم (١٦٧٢)، مسند الإمام أحمد (٩٩/٢).

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلا الْجَنَّةُ**»[1] رواه أبو داود .

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

والباب الثاني: خطاب للسائل، وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب، وأعظم المقاصد، وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب، والنظر إلى وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله.

وأما المطالب الدنيوية، والأمور الدينية، وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه - فإنه لا يسألها بوجهه .

١- سنن أبي داود في كتاب الزكاة، برقم (١٦٧١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٩/٤) والأسماء والصفات له (٣١/٢).

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

في الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير الآيتين في (آل عمران.)

الثانية: النهي الصريح عن قول (لو) إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

باب ما جاء في اللو

اعلم أن استعمال العبد للفظة (لو) تقع على قسمين: مذموم ومحمود.

أما المذموم فإن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت، كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين: أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا، أو لو فعلت كذا كان كذا- نوع اعتراض، ونوع ضعف إيمان بقضاء

١- صحيح مسلم في كتاب القدر، برقم (٢٦٦٤).

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

الله وقدره.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

وأما المحمود من ذلك فإن يقولها العبد تمنيًا للخير .

كقوله صلى الله عليه وسلم: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلأَهْلَلْتُ بِالْعُمْرَةِ»[1] .

وقوله في الرجل المتمني للخير: «لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلانٍ لَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ عَمَلِ فُلانٍ»[2].

و «لَوْ صَبَرَ أَخِي مُوسَى لَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ نَبَأِهِمَا»[3] أي: في قصته مع الخضر .

وكما أن (لو) إذا قالها متمنيًا للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنيًا للشر فهو مذموم.

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها.

إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمني الشر -كان مذمومًا.

وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محمودًا؛ ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين .

١- صحيح البخاري في كتاب الحج، برقم (١٦٥١)، صحيح مسلم في كتاب الحج، برقم (١٢٤٠)، مسند الإمام أحمد (٦/١٧٥).

٢- جامع الترمذي في كتاب الزهد، برقم (٢٣٢٥)، سنن ابن ماجه في كتاب الزهد، برقم (٤٢٢٨).

٣- صحيح البخاري في كتاب العلم، برقم (١٢٢)، سنن أبي داود في كتاب الحروف والقراءات، برقم (٣٩٨٤).

باب النهي عن سب الريح

عـن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: «لا تَسُبُّوا الرِّيـحَ، فَـإذَا رَأَيْتُـمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُـوا: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُـكَ مِنْ خَيْرِهَذِهِ الرِّيـحِ وَخَيْرِمَا فِيهَا، وَخَـيْرِمَـا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَـا أُمِرَتْ بِهِ»[1] صحَّحه الترمذي.

«فيه مسائل»

الأولى: النهي عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.

باب النهي عن سب الريح

وهذا نظير ما سـبق في سـب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام في سـب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح مصرَّفة مدبَّرة بتدبير الله وتسخيره، فالسابُّ لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريـح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبًا -لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

١- جامع الترمذي في كتاب الفتن، برقم (٢٢٥٢)، مسند الإمام أحمد (١٢٣/٥).

باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسِّر هذا الظنُّ بأنه سبحانه لا يَنْصُر رسوله وأن أمره سيضمحلُّ. وفسِّرَ بأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته.

فَفُسِّرَ بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أنْ يتم أمْرَ رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يُظهره على الدين كله.

وهذا هو ظنُّ السوء، الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظنُّ غير ما يليقُ به سبحانه، وما يليقُ بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُديلُ الباطلَ على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحلُّ معها الحق.

باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه، وصفاته، وكماله وتصديقه بكل ما أخبر به، وأنه يفعله، وما وعد به من نصر الدين،

أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرَّدة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختصُّ بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا مَنْ عَرَفَ الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فلْيَعْتَنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا، وليتُبْ إلى الله، وليَسْتَغْفِره من ظنه بربه ظنَّ السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنُّتًا على القدر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم ؟!

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخالُك ناجيًا

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحْصَر.

الرابعة: أنه لا يسلمُ من ذلك إلا من عَرَفَ الأسماء والصفات وعَرَفَ نفسه.

وإحقاق الحق وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان، وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان.

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله ونفي لكماله، وتكذيب لخبره، وشك في وعده. والله أعلم .

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثلُ أحدٍ ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبِلَه الله منه، حتى يؤمن بالقدر.

ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١] رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه قال لابنه: يا بُني، إنك لن تجد طَعْمَ الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يَكن ليُخْطِئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[٢].

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٣].

باب ما جاء في منكري القدر

قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة.

فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أن الله بكل شيء عليم، وأنه كتب في اللوح

١- صحيح مسلم في كتاب الإيمان، برقم (٩).

٢- جامع الترمذي في كتاب القدر، برقم (٢١٥٥)، سنن أبي داود في كتاب السنة، برقم (٤٧٠٠).

٣- مسند الإمام أحمد (٥ / ٣١٧).

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ: أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ»(١).

وفي [المسند] و[السنن] عن ابن الديلمي، قال: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

حديث صحيح، رواه الحاكم في [صحيحه].

«فيه مسائل»

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار بأن أحدًا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره.

ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل

١- أخرجها ابن أبي عاصم في السنة (١١١)، والآخرى في الشريعة ص (١٨٦).

٢- سنن أبي داود في كتاب السنة، برقم (٤٦٩٩)، سنن ابن ماجه في كتاب المقدمة، برقم (٧٧)، مسند الإمام أحمد (١٨٥/٥).

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته صلى الله عليه وسلم ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط.

جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .



باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»[1] أخرجاه.

ولهما، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»[2].

ولهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[3].

ولهما، عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[4].

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال: قال لي عليٌّ: «أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟: أَنْ لا تَدَعَ صُورَةً إِلا طَمَسْتَهَا، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلا سَوَّيْتَه»[5].

باب ما جاء في المصورين

وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل لله ندًّا في النيات والأقوال والأفعال، والند: المشابه ولو بوجه بعيد.

فاتخاذ الصور الحيوانية تَشَبُّهٌ بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية وتمويه وتزوير،

١- صحيح البخاري في كتاب التوحيد، برقم (٧٥٥٩)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١١١).

٢- صحيح البخاري في كتاب اللباس، برقم (٥٩٥٤)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١٠٧).

٣- صحيح البخاري في كتاب التعبير، برقم (٧٠٤٢)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١١٠).

٤- صحيح البخاري في كتاب البيوع، برقم (٢٢٢٥)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١١٠).

٥- صحيح مسلم (٩٦٩).

«فيه مسائل»

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله؛ لقوله: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي»[1].

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم؛ لقوله: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»[2].

الرابعة: التصريح بأنهم أَشَدُّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

فلذلك زجر الشارع عنه .

١، ٢- صحيح البخاري في كتاب التوحيد، برقم (٧٥٥٩)، صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة، برقم (٢١١١).

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»[١] أخرجاه.

وعن سلمان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ، لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ»[٢] رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح، عن عمران بن حُصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا: ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[٣].

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ النَّاسِ

باب ما جاء في كثرة الحلف

أصل اليمين إنما شرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقًا.

ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، فالكذب وكثرة

١- صحيح البخاري في كتاب البيوع، برقم (٢٠٨٧)، صحيح مسلم في كتاب المساقاة، برقم (١٦٠٦).

٢- المعجم الكبير للطبراني (٦١١١).

٣- صحيح البخاري في كتاب المناقب، برقم (٣٦٥٠)، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٥٣٥).

قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[1].

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحنُ صغار.

«فيه مسائل»

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذَمُّ الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه صلى الله عليه وسلم على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذَمُّ الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

الحلف، تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد .

١- صحيح البخاري في كتاب الشهادات، برقم (٢٦٥٢)، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٥٣٣) .

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[النحل: ٩١].

وعن بُريدة رضي الله عنه، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا؛ وَلا تَغُلُّو وَلا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلا تُنْزِلْهُمْ؛ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها، بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله. فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكًا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركًا لتعظيم الله، وارتكابًا لأكبر المفسدتين، كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم.

عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللَّهِ أَمْ لا ؟»[1] رواه مسلم .

«فيه مسائل»

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: «اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

الرابعة: قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ».

الخامسة: قوله: «اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ».

السادسة: الفرق بين حُكم الله وحُكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟

وفي ذلك أيضًا تهوين للدين والإسلام، وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه .

١- صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، برقم (١٧٣١) .

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جُندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: «قَالَ رُجُلٌ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[١] رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ القائل رجلٌ عابد، قال أبو هريرة: تكلَّم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته [٢].

«فيه مسائل»

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ»[٣] إلخ.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب ما جاء في الإقسام على الله
وباب لا يستشفع بالله على خلقه

وهـٰذان الأمران من سوء الأدب في حق الله، وهو منافٍ للتوحيد.

١- صحيح مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، برقم (٢٦٢١).

٢- رواه أحمد (٣٢٣/٢)، وأبو داود (٦٩٣/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٩/٥).

٣- صحيح البخاري في كتاب الرقاق، برقم (٦٤٧٨)، صحيح مسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٨)، جامع الترمذي في كتاب الزهد، برقم (٢٣١٤)، موطأ مالك في كتاب الجامع، برقم (١٨٤٩)، مسند الإمام أحمد (٣٣٤/٢).

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ! فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»[١] وذكر الحديث. رواه أبو داود.

«فيه مسائل»

الأولى: إنكار على من قال: (نستشفع بالله عليك.)

الثانية: تغيره تغيرًا عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (نستشفع بك على الله.)

الرابعة: التنبيه على تفسير: «سبحان الله».

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

أما الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله.

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأنًا من أن يتوسل به إلى خلقه، لأن رتبة المتوسل به غالبًا دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الكائنات بأسرها؟!

١- سنن أبي داود في كتاب السنة، برقم (٤٧٢٦).

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عـن عبد الله بن الشِّـخير رضي الله عنه، قال: «انْطَلَقْتُ في وَفْـدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَـا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَـالَ: السيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَـالَى، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْـلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: قُولُـوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُـمْ، وَلا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[1] رواه أبو داود بسند جيد.

وعــن أنس رضي الله عنــه: «أَنَّ نَاسًا قَالُـوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَـا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَـا وَسَيِّدَنَا وَابْـنَ سَيِّدِنَـا، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُـمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُـهُ، مَـا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[2] رواه النسـائي بسندٍ جيد.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

حمى التوحيد وسده طرق الشرك

تقـدم نظير هـذه الترجمة، وأعادها المصنـف؛ اهتمامًا بالمقام، فـإن التوحيد لا يتم ولا يحفـظ ويحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشـرك، والفرق بين البابين أن الأول: فيه حماية التوحيد بسـد الطرق الفعلية، وهذا الباب: فيه حمايته، وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال.

١- سنن أبي داود في كتاب الأدب، برقم (٤٨٠٦)، مسند الإمام أحمد (٢٥/٤).

٢- السنن الكبرى للنسائي (٢٤٩)، مسند الإمام أحمد (١٥٣/٣).

«فيه مسائل»

الأولى: تحذير الناس من الغلوِّ.

الثانية: ما ينبغي أن يقول مَنْ قيل له: (أنت سيدنا.)

الثالثة: قوله: «لا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

فكل قول يفضي إلى الغلو الذي يخشى منه الوقوع في الشرك -فإنه يتعين اجتنابه، ولا يتم التوحيد إلا بتركه.

والحاصل: أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه، وأركانه، ومكملاته، ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته، ظاهرًا وباطنًا، قولاً وفعلاً، وإرادة واعتقادًا.

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك.

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية، [الزمر: ٦٧]»[1] متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ».

وفي رواية للبخاري: «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ

باب قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة.

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه، لأن هذه النعوت العظيمة، والأوصاف الكاملة أكبر

١- صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن، برقم (٤٨١١)، صحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٦).

الْقِيَامَـةِ، ثُـمَّ يَأْخُذُهُـنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُـولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْـنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْـنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُـمَّ يَطْـوِي الأَرَضِـينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُـنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُـولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّـارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[1].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إلا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[2].

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابنُ زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إلا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ»[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «بَيْنَ السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرشُ فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم» أخرجه ابنُ مهدي[4]، عن حمَّاد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم عن أبي وائل، عن عبد الله.

الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يذل له غاية الذل والتعظيم

وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد، ولبه وروحه،

١- صحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٨).

٢- جامع البيان للطبري (٢٤/٢٤) رقم (٣٠٢١٢).

٣- جامع الطبري (١٢/٣) رقم (٥٧٩٥).

٤- رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣٩٥/٣)، وأبو الشيخ في العظمة، وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٢/١).

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسمائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسمائَةِ سَنَةٍ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسمائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»[1] أخرجه أبو داود وغيره.

«فيه مسائل»

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الزمر: ٦٧].

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم، ولم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدَّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك منه صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في اليد الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

وسر الإخلاص .

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته، ومحبته، والإنابة إليه، إنه جواد كريم.

وهذا آخر التعليق المختصر على [كتاب التوحيد]، وتوضيح مقاصده. وقد حوى من

١- جامع الترمذي في كتاب تفسير القرآن، برقم (٣٣٢٠)، سنن أبي داود في كتاب السنة، برقم (٤٧٢٣)، سنن ابن ماجه في كتاب المقدمة، برقم (١٩٣)، مسند الإمام أحمد (٢٠٧/١).

الثامنة: قوله: (كخردلة في كف أحدكم.)

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظمة العرش بالنسبة للكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء ؟.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي؟

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء؟

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض ؟

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة عام.

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها.

والحمد لله على تيسيره ومنته. وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا .

الفهرس




الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء

الفهرس


الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء



الرئاسة العامة
للبحوث العلمية والإفتاء